سير الزمان

اصلح اشكال الحكم في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

آلات التدمير الجديدة

القوى الروحية في اليابان

لكلود فارر

مشكلة النسا

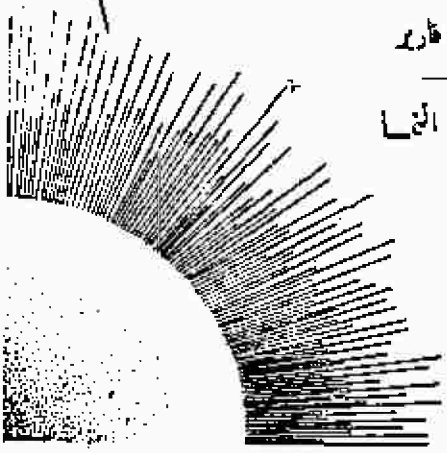

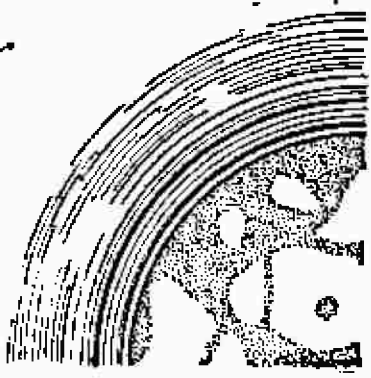

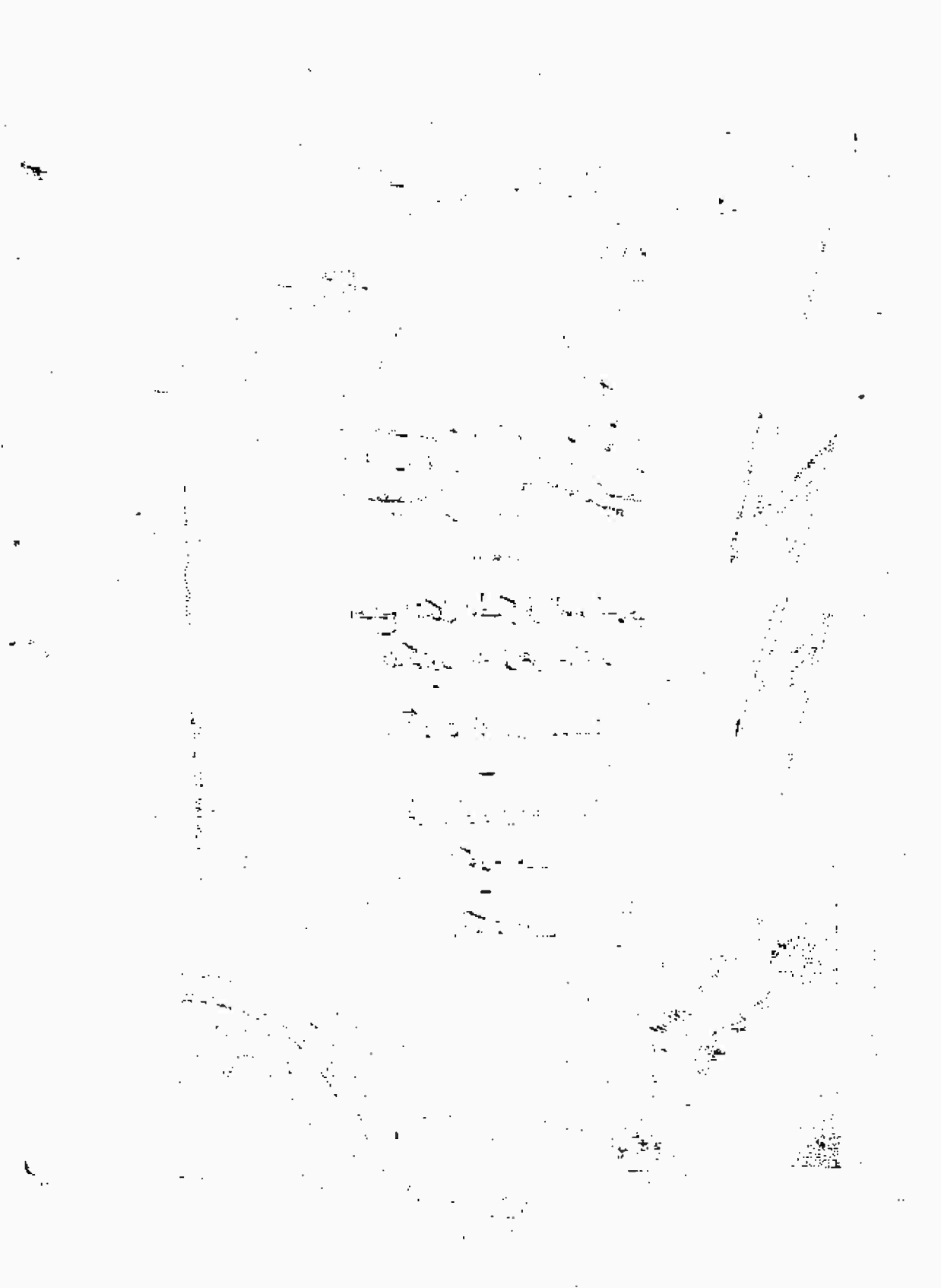

اصلح اشكال الحكم

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

لقد عرضنا المذاهب السياسية بشيء من الاقاضة ووضعنا امحابها في الميزان لتزوّد جمهور القراء في العالم العربي بخبر الاطوار السياسية العظيمة التي طرأت على الدول والحكومات حتى اذا حلت ساعة العمل وجد الزعماء في الاوساط التي يشتغلون لها شيئاً في القابلية الفردية والتهيؤ العام ، لان البلاء كل البلاء ان يتجه الشعب الى الغاية التي ينشدها ويجهل الطريق الموصلة . وفي وسعنا الآن ان نتساءل ما هو اصلح شكل في الحكم يلائم العالم العربي ؟ اهو الشكل العصابي الديموقراطي ام العظامي الارستوقراطي ، الاستبدادي الاوتوقراطي ام الشوري النيابي ، الشيوعي اللاوطني ام الفاشستي المتطرف في الوطنية ؟ ولو كان العالم العربي على مستوى واحد في الثقافة والاجتماع وفيما يتمتع به من حرية ويمارسه من استقلال لطال الجواب ولكن مستواه متموج متضرس ، ففيه من سما في المدنية حتى كاد يسامت الغرب وفيه من لا يزال في الغور كأنه من اهل الاعصر الخالية ، وبعضه مستقل استقلالاً تامّاً ناجزاً وبعضه الآخر لا يزال في ربقة الاستعمار ، ولكن الخوف من وثبته وهو على علاته وعلى ما فيه من تنابذ وما يعانيه من نقص تنظيم لم يعد وهماً بل هو خوف من الشيء الواقع المحسوس حتى ان عالماً مشهوراً من علماء التاريخ وهو المستر (اوسكار بروتنج) استاذ التاريخ في جامعة (كامبردج) يعد العرب واليابانيين الخصمين اللدودين للتوسع الاوربي [1] ولم تعد الدول الاوربية ذات المصالح السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط تخفي ما يساورها من الهموم من هذه النهضة العربية في حين تخطب الدول الاخرى ودّ هذه النهضة وتستميلها اليها تقوية لموقفها السياسي الشرقي وتأييداً لنفوذها العام

وفي وسعنا الآن ان نقول بصورة مجملة تنطبق على احوال هذا العالم الفسيح الاجتماعية وعلى الدرجة السياسية التي بلغها ان الشكل النيابي الصحيح القائم على الانتخاب الحرّ — جهد الطاقة — هو الشكل الذي يجب ان يصير عليه الاهلون حيث هم مستقلون استقلالاً مقيداً بالانتداب او الحماية او المعاهدة المصطنعة او غير ذلك من التدخل الاجنبي في شؤونهم ، والاستبدادي العادل

---

(١) A History of the Modern World, p 840

او النيّر حيث هم يتمتعون بالاستقلال التام . وقد حملنا على هذه النتيجة الاعتبارات الآتية وهي ان البلدان العربية التي للاجنبي عليها سيطرة متفاوتة لاسباب مختلفة والتي يحاول بطرق الدهاء والادارة والشدة والرخاء ان يستثمرها في آخر الامر لنفسه هي بلدان معرضة لزوال سلطانها القومي وما يجر اليه من تخلق اهلها بأخلاق اهل المستعمرات الصرفة ، وكل ذلك نذير الانقراض القومي، بيد ان هذه البلدان لاسباب سياسية اجتماعية ودواع دولية اقتصادية تتمتع بشيء من حق التصرف الداخلي ولو ظاهراً . ففي مثل هذه الامراض البدهية يتعذر كثيراً على الشعب ان يعمى عن الخطر المحدق به التهمّ الاّ اذا كان من الانحلال وضعف الادراك بحيث لا يرتجى برؤه. لا جرم ان الادراك العام في الامة العراقية — بل فيما هو دونها — شديد التأثر بما له صلة وثيقة بحياتها او مماتها وهو الشعور الدال على درجة وعيها ويصح للزعماء ان يعتمدوا عليه ويتخذوا منهُ سلاحاً ماضياً يحاربون به مرض الاحتلال ولو مرقتاً ، وينطبق هذا الكلام خصوصاً على البلدان التي لا تسمح لها احوالها ، بانتهاج المسالك المؤدية الى الاستقلال مباشرة بل هي مضطرة الى التوسل «بالمناورات» السياسية وغير ذلك من الطرق البطيئة الى ان تحين ساعة العمل ، ونحن لم نصل الى هذه النتيجة بطريق النظر بل لدينا عدد من الحوادث التي جرت في السنين الاخيرة في بلدان الاحتلال والحماية والانتداب تحملنا على هذه النتيجة ايضاً، حتى ان قطراً مقموعاً كالقطر الجزائري شغرت فيه منذ سنوات بعض المقاعد البلدية التي يجلس عليها الاعضاء بالانتخاب الشعبي فرشحت له الحكومة بعض رجالها ولكن الاهلين على ما انتابهم من ارهاق يعانونهُ منذ قرن كامل اصروا على مرشحهم حتى فازوا بانتخابه فردته الحكومة بما تحملته من اعذار وأمرت باعادة الانتخاب ولكن الاهلين نجحوا في المرة الثانية ايضاً . ولا يعد اخفاق الحكومة هذا شيئاً مذكوراً بجانب اخفاقها في الانتخابات المتكررة التي جرت في سورية ، وحيثما اصرّ الشعب على اثبات ارادته كانت النتيجة نجاح مرشحيه الاّ اذا ارتكبت الحكومة المخلفات الادارية البدهية وأخلقت المجلس مثلاً او اوقفت المرشحين او غير ذلك من الاعمال التي خبرها الشرق في ادوار مختلفة . ولا نحال حكومة حريصة على سمعتها تقدم على اعلان افلاس سياستها بهذه الصورة المزرية ، وقد تضطر اذا ما تورطت في التدخل الى عزل من ورطوها من عمالها او الى تقلهم تبرئة لنفسها كما حدث في انتخابات المجلس النيابي الاخيرة في سورية

ثم ان الاجنبي المحتل يدير شؤون البلاد عادة بواسطة نفر من ابنائها يضمن لهم منافعهم الخاصة ويحقق لهم غاياتهم الشخصية وقد يطلق يدهم يتصرفون في الامور كما يشاؤون ضمن الحدود التي رسمتها مصالحه فيجعلهم سلاحاً يحارب بهم الصادقين المخلصين ، ولكن اتى لهُ استغواء سائر الشعب واستجلاب بقية افراده بالرشوة وعددهم يربي كثيراً على وسائل اغرائه ، فلا عجب ان يكون حكم المجموع والحالة هذه اقرب الى الصحة لانهُ ابعد عن المؤثرات النفعية الذاتية ويصدق فيه القول

المأثور « اصوات الخلق اقلام الحق » ، وتكون الطريقة النيابية اذن ترجمان الامة الصادق ومقياس شعورها المضبوط ، ويدفعها تدخل الاجنبي الى زيادة التمسك بمن اولتهم ثقتها . هكذا دلتنا التجارب في البلدان التي تتبعنا شؤونها في السنين الاخيرة . ولا مفر للحاكم الوطني اذا كان مستبداً على عهد الاحتلال من الالتجاء الى المحتلين في آخر الامر مهما حاول الابتعاد عنهم لانه يجدهم عوناً لمصلحته الشخصية وسياجاً يحتمي به لدفع هجمات الخصوم من ابناء البلاد

***

ومن اهم الحوادث التي حدثت اخيراً وفيها ما يؤيد الحكم النيابي في الاحوال التي ذكرناها ان المجلس النيابي الاخير الذي انتخب في سورية كان عدد الاعضاء الوطنيين فيه سبعة عشر فقط والباقون وعددهم يناهز الاثنين والخمسين هم ممن يدعون « معتدلين » وتظن السلطة المحتلة انهم لا يخالفونها امراً وقد ايّدت انتخابهم برؤوس الحراب واطلاق البنادق ، فلما عرضت عليهم في المجلس عقد معاهدة على اساس تجزئة سورية وتقطيع اوصالها لم يستطيعوا مجاراتها بل خيبوا آمالها وسودوا وجه من زعم من عمالها انهم سيكونون اداة عمياء في يدها ، والذي حملهم على هذا الموقف المفاجيء اختيار الرأي العام وشدة وطأته من جهة وخطر التجزئة القتال من جهة اخرى ، ولعلّ التعديل الاخير الذي احدثهُ المفوض السامي الفرنسي فيما يدعى « دستور » لبنان من احتفاظه بتعيين نحو ثلث اعضاء المجلس النيابي مع تعيينه رئيساً للجمهورية ذا سلطة واسعة يستمدها من مستشار افرنسي كل ذلك ادرءٌ من حكم اللبنانيين العام، وان ادعت السلطة انهم يهيئون بحبها

اما اذا كان القطر العربي متمتعاً باستقلاله التام فغير ما يناله ان تتاح له يد مستبدة عادلة تنقذه من الفوضى التي تتخبط فيها اكثر الامم الحاضرة خصوصاً من كان منها مثلنا حديث عهد بالشؤون الدستورية ولم يتجهز بعد اباؤه بالتربية التي تؤهلهم لمثل هذا الحكم الدقيق ، واذا كانت المانيا وهي التي تقود الغرب في كثير من مقومات الثقافة والحضارة قد اخفقت في الديموقراطية اخفاقاً معيباً فلا جناح علينا ان نعترف بهذا القصور ونحن لم ندخل حلبة السياسة العربية الاّ منذ اوائل القرن العشرين ، ولم نعان الحكم النيابي الاّ منذ الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ وفي الحق اننا في اقطارنا المستقلة لفي اشد الحاجة الى اليد الحازمة المدركة لتسير بنا الى الامام على رغم اهل الرجعى منّا كما يسير موسوليني بالايطاليين . وانا اسأل في هذا المقام كل من عانى شؤون الادارة والحكم أيرى لمملكة الحجاز ونجد مجلس نواب من القطغط ومطير والفقير وحرب ام ملكاً حازماً خبيراً بشؤون البدو كعبد العزيز بن سعود ؟ الا تقضي الديموقراطية في تلك الانحاء الابتدائية بتربع الغوغاء في دست الحكم وانهزام الاختيار والاخصاء والتزين والحصافة انهزاماً شنيعاً لا يلوي على شيء ؟ ولو كان هذا الملك النابغة مسلحاً بسلاح التربية الحديثة ومشبعاً بروح النهضة التي تسير عليها الامم الحية ما اضاع

هذه الفرصة السانحة لالتفاف زعماء العرب حوله واتخاذهم الاستقلال الذي يتمتع به مركزاً لبث الدعاية العربية في انحاء العالم. ومن ادعى دواعي الاسف ان جميع الجهود التي صرفت لاستنهاضه قد اخفقت

***

انني اذكر جيداً اننا لما كنا نعاني حشرجة الموت تحت كابوس السلطان عبد الحميد كنا نظن ان مجرد اعلان الدستور واطلاق حرية الانتخاب وترك المنابر للخطباء يتكلمون كما يشاءون ينعشنا ويعيدنا الى مهيع الحياة، وفي شهر تموز — يوليو — من سنة ١٩٠٨ اعلن هذا الدستور بقوة الجيش وبتأثير الاوهام التي تسلطت على السلطان فكان مبدأ انقلاب خطير في جميع بلدان الشرق المتوسط لما عقبه من الثورة في الافكار والاوضاع، ولا انكر ابداً ان بعض الانتخابات دلت على شيء من حسن الاختيار ولكنها ارسلت بالاجمال الى مجلس النواب اناساً لا يختلفون عن العوام كثيراً، واصعدت المنابر بعض الخطباء الذين حولوا قضية الدولة السياسية الخطيرة الى البحث في الحجاب وشكل الغطاء الذي يجب ان يسدل على المرأة، فبينما كانت الدول المعظمة تبحث في بناء الدردنوطات للحروب القادمة وكيف يجب ان يكون طولها وضخامة دروعها كان هؤلاء الخطباء يقيسون الاحزمة التي يجب ان تشد بها اوساط بنات المستقبل وكثافة البراقع التي يجب ان تغطي وجوههن! والظاهر ان الوطنيين اثرائيين في عصر التحجيل مثل العملة الزائفة في عصر التجارات المضطربة يحلون محل الصالحين من ابناء البلاد

***

وعلينا ان نعترف هنا اعترافاً صريحاً وان اكلنا ونهنا الى ثقل اعبائنا وهو ان شدة التباين في تربيتنا السياسية الاجتماعية وعمق الهوة السحيقة بين افرادنا وعدم سيرنا على منهاج واحد في بيوتنا ومدارسنا ومكاتبنا وانقسامنا الى طبقتين اثنتين متطرفتين عامة وخاصة لا وسط بينهما كل ذلك يتطلب منا ان يكون امرنا بيد سلطة عادلة نيّرة منا وفينا واليتا تحملنا على الاصلاح رغم انوفنا وتجرنا بالقوة في السبل المنتجة وتنحينا عن السبل العقيمة. وانني لأذكر مع الاسى اولئك « الدكتاتوريين » النفعيين من الشرقيين الذين اظهروا في بعض البلدان العربية المحتلة من الجرأة والاستبداد لتأييد مصلحتهم الخاصة ومصلحة الاجنبي من فوقهم ما لو اظهر جزءاً منه فقط زملاؤهم في البلدان العربية المستقلة لمصلحة الشعب لنالوا مرتبة المصلحين المنقذين

والارتقاء نوعان، نوع هادىء سلس يقوم به مجموع الشعب ويكون للافراد عموماً سهم في احداثه، ونوع مضطرب جموح تجر الشعب الى مهيعه اقلية حازمة هي الطبقة المختارة. في النوع الاول تتوقف الخطط التي تختطها الحكومات في الادارة والسياسة على المرتبة الثقوفية التي بلغها الشعب في حياته المشتركة. وتكون طبيعة القوانين التي تسنها مجالسها التشريعية متناسبة مع هذه المرتبة، وتكون الجماعة التي تؤلف الدولة متحدة في قرائها وثقافتها والمثل العليا التي تنشدها،

وفيها نزعة التبدل والتكيف والتجدد بحسب الطوارىء في ناموس الارتقاء ، فتأتي الديمقراطية في مثل هذه البيئة بأطيب الثمرات خصوصاً في أزمنة السلم العادية ، وعلى العكس من ذلك يكون الارتقاء الجموح الذي يجرّ اليه الشعب جرّاً ولا سيما متى كان افراده متباينين في تربيتهم ، لم يتعارفوا تعارفاً اجتماعياً سياسياً ولا اطلع الواحد منهم على عقيدة الآخر ولا امتزج به امتزاجاً يمكنه من ألفته وألفة عاداته فالديمقراطية في مثل هذه الحال تصبح كما قال « الموجز في علم الاجتماع » وبالاً على اصحابها فلا تعدو ان تكون ادارة الضابط الصغير متحكماً في اتباعه من الجنود

والبلية كل البلية ان يكون الشعب وان تجانس سواد افراده وتشابهوا في عقيدتهم ومثلهم العليا الاّ ان الجمود هو صفتهم المتفوقة فالديمقراطية في مثل هذه الحال هي تحكيم الاكثرية العظمى الجاهلة من سواد الشعب في النخبة المنتخبة من ابنائه . هنا تسنح الفرصة للذي يجادل في نسيج الحجاب ان يتفوق على الذي يبحث في حديد المدرعة . ووهدة مثل هذه لن ينقذ الشعب منها غير يد الزعيم الحديدية الحازمة

***

فمن الخطل السياسي الاجتماعي العظيم اذن ان يتوهم احد من رجال النهضة في العالم العربي انه في حيز الامكان تأليف دولة عربية مركزية ديمقراطية تضم منذ الآن بين دفتي دستور واحد دمشق والكويت وعنيزة والعسير والمكلا فهذه بلدان وان جمعت بينها اللغة والعقيدة وتشاركت في كثير من اطوارها التاريخية الاّ ان العادات والتقاليد المحلية واختلاف درجة الثقافة العامة فيها وما الى ذلك من مقومات العقل الاجتماعي الذي لا بدّ منه لتأليف الوحدة السياسية جعلت شقة الخلاف فيما بينها أبعد من ان يضمها مجلس تشريعي واحد او يلم شتاتها ارادة سلطانية واحدة

وغير نكير ان الدولة العثمانية بسطت سلطانها على جزء كبير من هذه الاقطار اجيالاً تملي عليها شيئاً من ارادتها من وراء البوسفور لكن الاختبارات المديدة علمتها ان تجعل الادارة فيها من الوجهة العملية على طريقة « اللامركزية » فكانت (صنعاء) كما كانت (حائل) متمتعة باستقلال عملي لاغبار عليه ، بل نحن في سورية والعراق على شدة امتزاجنا بالترك واختلاط سدانا بلحمتهم كانت ادارتنا عند التطبيق بعيدة عن المركزية وان ارتبطت بالاستانة مباشرة . وهذه دروس عملية ثمينة ستكون موضع عناية العاملين في القضية العربية في السنين القادمة

ثم من الجهة الاخرى يستطيع العراق وسورية مثلاً منذ الآن ان يؤلفا دولة مستقلة ذات حوزة سياسية واحدة بالنظر الى التشابه فيما بينهما واشتباك مصالحهما خصوصاً ان العراق من غير سورية قصر بلا باب وسورية من غير العراق باب بلا قصر . ومما يدعو الى التفاؤل ان كبار الرجال في هذين القطرين الشقيقين هم كما كانوا في عهد الملك فيصل على تفاهم واستعداد لتحقيق هذه الامنية الغالية وتقديم المثال العملي الصالح لتقتدي به الاقطار العربية الاخرى

آلات التدمير الجديدة

والعلم والحرب المقبلة

العلم لا ينظر الى الحرب ولا الى السلم فهو يعطينا يد الآلهة ويد اخرى للشيطان . والبيروفات تستعمل لهدم والقتل في الحرب ولكنها تستخدم لحفر الانفاق وفتح المعادن وشق الترع في زمان السلم والفولاذ لا يحصر استعماله في صنع الاسلحة والآلة والمدافع بل يستعمل كذلك في صنع المحاريث والسكك والسيارات والجسور . والعلم بحد نفسه لا يخدم الحرب دون السلم وانما يعود الفرق الى نفوسنا وشهواتنا وتفكيرنا ومثلنا الادبية

صرّح المستر بولدوين زعيم المحافظين ، في اواسط السنة الماضية ، ان العالم يستعد لحرب اخرى «يفتك فيها بالجمهور غير المقاتل فتكاً عامّاً» . ويرى المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير ، ان الحرب قد لا تتأخر عن سنة ١٩٤٠ اما جمهور المتنبئة ، فطائفتان طائفة ترى ان ولز بكّر ميعاد الحرب القادمة واخرى أشد تشاؤماً تذهب الى ان الحرب واقعة قبل الميعاد الذي ذكر . اما السر فيليب جبز الصحافي الحربي والكاتب الانكليزي المعروف ، فيرى ان كواهل الامم مثقلة بالديون ، فلن تقدم على خوض غمار حرب جديدة ، ولكن الملتفت الى شؤون الدول العامة ، لا بد ان يتلقهُ ، ما هو ثائر بين الامم من العداوات الجنسية والعنصرية ، والنزعات القومية العنيفة

فلنفترض ان الحرب وقعت غداً ، الاربعاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤ فاذا يجري ؟

اذا نشبت حرب غداً بين امتين من الامم الصناعية الكبيرة ، عبّأت كل منها آلات الدمار تعبئة سريعة . نعم لا بد من تعبئة الجيوش ، إذ لا بد من الجنود والضباط لاستعمال آلات الدمار الحديثة ، ولكن قلب التعبئة ، يكون تعبئة الآلات ، وفي مقدمة هذه الآلات ، الغواصات والدبابات المصفحة والطيارات . فكل آلة من هذه الآلات ، تستطيع اليوم أن تسير بسرعة لم تعهد في خلال الحرب الكبرى او بعيد انتهائها . وكل منها مجهز بوسائل للهجوم والدفاع ، تجعلها اقوى فعلاً مما كانت في الجبهة الغربية سنة ١٩١٨

ومما لاريب فيهِ انهُ رغم الازمات الخانقة لم يبل النبوغ والابداع الانساني بازمة ما ، اذ لست تجد فرعاً من فروع الخدمة العسكرية تمكن «مكننته» Mechanization أي جعل الماكينات صاحبة المقام الاعلى والاثر الاقوى فيهِ — الاّ وقد أضفى عليهِ الباحث العلمي والمستنبط همة من نبوغهِ وابداعهِ

***

ان ما يتنبأ بهِ العلماء المحدثون في ميدان الاسلحة العلمية الجديدة والمتوقعة ، يفوق في حقيقتهِ خيال جول ڤرن الوثّاب . خذ مثلاً الجنرال فولر الانكليزي . فهو يتصور ان العهد المقبل في صناعة الحرب ، سوف يكون العهد الكهربائي ، ترسل في خلالهِ آلات الدمار ، على سطح الارض ،

وفي الماء والهواء ، خالية من الرجال ، ولكنها ترشد بواسطة الاشعة اللاسلكية ، فتطلق المدافع ، وترمي القنابل ، وتنشر المواد الكيمائية ، من دون ان تخطىء

ويقول الكولونل بريدي Brady وهو من اقدم وارع الضباط في سلاح الطيران الاميركي ، ان كل بلدة تصنع فيها الذخائر الحربية وآلات الحرب سوف تكون هدفاً لقنابل الطيارات ، والقنابل ترسل ارسال الصاروخ من اماكن بعيدة . فاذا نحن تدبرنا ، ان الطيارات الحربية المستعملة الآن ، تستطيع ان تحمل خمسة مدافع رشاشة وتسير بسرعة تفوق ثلاثة اضعاف السرعة التي كانت تسير بها الطيارات المستعملة في الحرب الكبرى استطعنا أن نتصور الدمار الذي تحدثهُ هذه الطيارات في الجماعات الآمنة ، التي وراء خطوط القتال ... كان المدفع البعيد المدى الذي استعمل في الحرب الماضية غير واف من الناحية الاقتصادية ، لانهُ كان يذوب ويبرى ، لشدة الحرارة المتولدة في انبوبته ولكن الوسائل الحديثة ، تمكن ضباط المدفعية من تغيير بطانة الانبوبة بغيرها ، وكذلك تتجدد هذه المدافع التي تستطيع ان ترمي قنابل الى مدى مئات من الاميال . ثم ان الدبابة التي استعملت سنة ١٩١٧ تسير سيراً بطيئاً ازاء الدبابات الحديثة ، المبنية من صلب اقوى وأمتن من صلب تلك وتستطيع ان تحمل مدافع ضخمة — نسبيًّا — وتسير بها بسرعة ٤٥ ميلاً في الساعة او اكثر

وما تقدم نبوءات يتنبأ بها رجال الفنون الحربية ، فلنلق نظرة على آلات الدمار المعروفة الآن . من عهد قريب رؤي منظار غواصة فوق سطح البحر كأنه كرة صغيرة على وجه الماء . ثم ما لبثت الكرة ان كبرت رويداً رويداً حتى اصبحت برجاً مثل الابراج التي ترى فوق دكّات الغواصات وبعد بضع ثوان ظهرت الغواصة على سطح الماء ثم فتح البرج وخرج منهُ بعض الضباط وأخرجوا طيارة مطوية الجناحين فنُشرَ جناحاها ووضعت على رأس سطح منحدر فجرت قليلاً واذا هي في الهواء في مكان قيادتها طائر ، ووراءه ضابط آخر المراقبة . حوّمت الطيارة مدة نصف ساعة في الجوّ ثم عادت ورست على الماء قرب الغواصة ، ثم رفعت الى الغواصة وطوي جناحاها المنشوران وأعيد الى بطنها ، ثم غاصت الغواصة تحت الماء ، فغابت عن النظر بغتة ، كما بدت للنظر بغتة كذلك

وكذلك ترى ان الطيارة أضيفت الى الغواصة . فالغواصة التي تستطيع ان تطلق الطرابيد Torpedoes الفاتكة في الماء ، والطيارات الفتاكة في الهواء لهي سيف ذو حدين حقيقة ، ولا بدّ ان يكون لها شأن وأي شأن في خطط الحرب المقبلة

ولكنها مع ذلك لا بدّ لها من ان تكافح عدوًّا لها ، اخرجته معامل الطيارات . هذا العدو هو ما يعرف « بالقارب الطيار » وهو عبارة عن طائرة ضخمة ، المسافة بين طرفي جناحيها ٩٧ قدماً وتستطيع ان تقطع ١٥٠٠ ميل من دون ان تحط على سطح البحر ومجهزة ببطارية من المدافع الرشاشة احدها يطلق ١٠٠ طلقة في الدقيقة وفي استطاعة قنابلها ان تخرق درعاً سمكهُ لانٍ وزن القنبلة

التي يطلق منها مائة في الدقيقة رطل ونصف رطل فاذا حلّقت هذه الطيارات استطاعت ان تطلق قنابلها الخاصة على الغواصة فتمزق دروعها ولو كانت بضع اقدام تحت سطح الماء ولذلك دعيت هذه الطيارة «المقاومة للغواصات» بالمعقل الطائر»

وكانت القنابل التي ألقيت من الجو في خلال الحرب الكبرى على لندن وباريس، تزن الواحدة منها ٦٦٠ رطلاً أما قنابل اليوم، فلا تقل زنة القنبلة منها عن الفي رطل! وقد جربت التجارب بقنابل زنة القنبلة منها طنان

ومن القنابل الفتاكة التي صنعت قنبلة تعرف «بقنبلة التدمير» طولها ١٣ قدماً ونصف قدم وقطرها قدمان — اي انها طول رجلين طويلين إذ يندر ان يزيد طول الرجل عن ستة اقدام وثلاث بوصات — وزنها ٤٣٠٠ رطل منها ٢٠٠٠ رطل من المادة المتفجرة. فنصف هذه القنبلة مادة متفجرة، مع ان مقدار المادة المتفجرة في قنبلة ما، لا تزيد عادة عن ١٥ في المائة. فاذا انفجرت هذه القنبلة فتحت هوة في الارض عمقها ١٩ قدماً وقطرها ٥٩ قدماً، وتمتد اثرها، علاوة على ذلك، امتداداً افقيًّا الى مدى بعيد ذلك ان هذه القنابل — قنابل التدمير — تدمر بفعل الهزة العنيفة التي تحدثها في جوار النقطة التي تقع فيها وتحدث تلك الهوة العظيمة

ثم هناك «قنابل الاحتراق» وهي محشوة مادة كيمائية تولد حرارة عالية جدًّا، اذ تصطدم بالارض. فهي تدمر بفعل الحرارة التي تولدها هذه المواد البالغة احياناً ثلاثة آلاف درجة مئوية

***

قلما استعملت الطيارة خلال الحرب الكبرى، في حرب الغازات. ولكنها اليوم سلاح اساسي في هذه الناحية يعتمد عليه واضعو الخطط الحربية. فقد دلت التجارب ان الطيارات تستطيع ان تلقي الغاز او السوائل المولدة للغاز فوق خنادق الجنود، او المدن الآمنة على السواء فتسطرها حتفاً من الجو، ثم تضيف الى ذلك بعض القنابل الخاصة التي تحتوي على الغاز الخانق

أما الغازات نفسها فالامر الذي لا شك فيه ان وزارات الحرب، في مختلف البلدان تجرب التجارب المتراسلة للكشف عن غازات، اكثر تنوعاً وأشد سمًّا وفتكاً من الغازات التي استعملت في الحرب الكبرى وقد عزي الى احد الضباط الذين يشرفون على تجارب سم الغازات في احد الجيوش الحديثة، القول بأن الغازات الجديدة تفوق الغازات التي استعملت في الحرب الكبرى خمسين ضعفاً

وقد جاء في انباء فرنسا انهم اكتشفوا هناك سائلاً، يتحول الى غاز، فاذا لمس الجلد لمساً فعل فيه فعل سم زعاف يولده الجسم في خلاياه فيميتها. ويتنبأ احد القواد الالمان — الجنرال منتش Mentsch — ان في النزاع بين الغازات الخانقة والكيمائيات الواقية من الغاز، لا بدّ للغاز من أن يفوز بأكيل الظفر!

واذ التنافس سائر على قدم وساق ، بين صانعي الغاز وصانعي الكمامة الواقية من الغاز ، نجد تنافساً آخر ، ما زال قائماً بين صنّاع رصاص البنادق ، وصنّاع الدروع الواقية منها . ففي خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، صنع نوع من البنادق ، تستطيع البندقية منه ان تطلق رصاصها المصنوع من الصلب بسرعة ميل في الثانية ، وهي ضعف السرعة المعهودة في بنادق الجيوش من قبل . هذه الرصاصة المنطلقة بسرعة ميل في الثانية تخترق درعاً من الصلب سمكها نصف بوصة . وهذه هي السماكة العادية لدروع الدبابات وغيرها من السيارات المصفحة . وقد اعلن في السنة الماضية استنباط قنبلة جديدة ، تخترق درعاً سمكها قدم من الصلب ، على مسافة ثمانية أميال

ولكن صناع الدروع ، لا يتنون عن استنباط الدروع التي لا تفعل فيها هذه الطلقات او القنابل ، فقد اعلنوا في السنة الماضية انهم توصلوا الى خليط جديد من الصلب لم يعهد له مثيل من قبل في قساوته . فهو يفرق دروع الصلب القديمة ٤٠ في المائة في صلابته ، فدرع سمكها نصف بوصة من الخليط الجديد ، تحل محل درع سمكها سبعة أعشار البوصة من الصلب القديم

والدبابات الجديدة تدرّع الآن بهذا الصلب الجديد ، وسمكه في بعض هذه الدروع بوصة كاملة بل قد اضيف الى الدبابات مدافع رشاشة أفعل من المدافع القديمة وأشدّ فتكاً . ثم ان الدبابات نفسها أسرع حركة لها عجلات تسير بها في الشوارع المرصوفة ثم تضاف اليها السلاسل او ما يشبه السلاسل لكي تسير في الحقول والجبال والاودية . ويقال ان سرعتها من دون السلاسل بلغت نحو ٤٥ ميلاً في الساعة وبالسلاسل بلغت ٢٣ ميلاً في الساعة

وبعض الدبابات يبنى الآن ، وله حجر لا يخترقها الماء ومحركات ، كمحركات السفن ، فاذا عرضت للدبابة بطيحة من البطائح ، او نهر ، اجتازتها عوماً كالسفينة ، فهي برية بحرية في آن واحد . وكانت دبابات الحرب الكبرى ، ثقيلة بطيئة ، فكان وزن الدبابة منها ٤٠ طناً ، اما الوزن المفضل الآن فخمسة عشر طناً . وهي مع ذلك امنع وأفتك

وكان أبعد مدى بلغتهُ القنابل البحرية في خلال الحرب ٢١ الف ذراع . ولكنها اليوم تستطيع ان تبلغ مدى ٣٥ الف ذراع . ومن المخترعات الحديثة ، مدافع قطر فوهتها ١٥ بوصة ، تقام على عربات النقل على سكة حديدية ، وتستطيع ان تقذف قنابلها الى مسافة ٤٠ الف ذراع او نحو ٢٣ ميلاً . ثم هناك مدفع آخر يستعمل للدفاع عن السواحل مداه ٣١ ميلاً ، ووزن قنبلته ٢٣٤٠ رطلاً فاذا بلغ نهاية مداه كانت سرعته كافية لاختراع درع من الصلب سماكتها ١٤ بوصة ، او قدم وسدس قدم.

***

هذه بعض نواحي التقدم في صنع آلات التدمير ، فهل ساوقها التقدم في تأييد وسائل تنظيم السلام ؟ !

القوى الروحية

في اليابان

من محاضرة لكلود فاريز

قلت من مدة قصيرة إن الصين خلقت اشخاصاً ولم تخلق امة . وأتيت على السبب في ذلك . وأقول اليوم — في سهل حديثي عن اليابان — ان هناك يابانيين وأمة يابانية كما ان هناك فرنسيين وأمة فرنسية . ويسهل عليّ شرح ذلك : فاليابان قد تطورت بتطور الايام كما تطورنا نحن على وجه التقريب وكما تطورت أية امة من الامم الاوربية . على ان اليابان ، وقد لا اشك في ذلك ، لم تكن في الاصل امة آسيتة بل صارت الى ذلك فيما بعد ، ولهذا نرى أن الشعب الياباني — خلافاً لسائر الشعوب في آسيا القصوى — بدل ان يتطور على الطريقة التي تطورت عليها الشعوب الصفر جاراته ، عرف جميع المراحل المنظمة التي اجتزناها تباعاً فيما بعد

وهذا يتطلب شرحاً وافياً . فاليابانيون لم يعيشوا دائماً في اليابان فان سلالات أخرى حلت قبلهم في هذه الارض ، ونعرف الاخيرة من هذه السلالات وهي سلالة رجال ضخام الجثث ملتحين ذوي بشرة بيضاء يعرفون بالأينوس ولا يزال بعض افراد منهم يقيمون بجزيرة هوكائيدو من جزر الارخبيل . وهؤلاء الاينوس استولوا في الماضي على اليابان بأسرها الى أن أقبل يابانيو اليوم فطردوهم

ولكن من أين أقبل هؤلاء اليابانيون ؟ لا تزال هذه المسألة رهن البحث والاستقصاء ، ويذهب البعض الى أن قبيلة صغيرة نزحت من آسيا وقبيلة كبيرة نزحت من ملبسيا (اوقيانوسيا) ، وكل هذا محتمل الوقوع . فنحن لا نجهل أن شعباً عاش في الماضي على حدود منغوليا وتراسبائيكاليا الحالية ، بل شاطىء تلك الانهر المعروفة بالكرولين والارجون والامور ، وأن هذا الشعب كثيراً ما اطلق امواجاً هائلة من الغزو على اقطار العالم الاربعة . ولا يخفى أن أتيلا وجنكيز وتيمورلنك انطلقوا واحداً بعد الآخر من وكر الدببور هذا . وغير مستبعد أن تكون طوائف منهم قد اتصلت الى البحر الياباني او الى البحر الغوري mer caréenne ، ولكن أن يكون الغرسان الترك قد غامروا في المياه المالحة وجابهوا الريح والامواج وعبروا البحار فذلك مستبعد جداً : فلا الترك ولا التتار كانوا في عهد من العهود من الشعوب الملاّحة . إذن فالموجة التي عمرت الاينوس وشيدت مملكة الشمس الشارقة هذه ، تلك المملكة التي لا تزال متألقة منذ خمسة وعشرين قرناً الى اليوم ، إن تلك الموجة قد اقبلت من الجنوب من ملبسيا او من الفيليبين أو من

الكرولين أو من صاموى أو من جزر المركيز أو من تاهيتي. من يعلم فقد تكون اوقيانوسيا بأسرها جابت جيوب البحر سمياً وراء فردوس موعود به . على أن ثمة أمراً لا شك فيه وهو أن اليابانيين عند ما وصلوا الى اليابان لم يكن لديهم يومية ولا طريقة من طرق الكتابة . ولدينا على ذلك حجة نستند اليها : فالشعوب الآسية عرفت الكتابة قبل الشعوب الاوربية بزمن بعيد ، وبقي الاوقيانوسيون دهراً طويلاً جداً يجهلون طريقة الاحتفاظ بالفكرة ونقلها من جيل الى جيل ، أما اليومية فلا تملكها الا الشعوب التي تحتاج اليها ، أعني الشعوب التي تعرف الفصول ، وهل ثمة فصول بين برج السرطان وبرج الجدي ؟

لذلك أؤكد أن اليابانيين لم يكونوا في البدء رجالاً صُفراً منهدلي الخدود محافظين على التقاليد ، بل كانوا ذوي بشرة حمراء أو سمراء حادّي الاعصاب في مرونة ولباقة ، وينبغي ان يكونوا كذلك ليتاح لهم القيام في مراكب خشبية ذات اشرعة من القش ، بتلك الرحلات البحرية اللانهاية لها في وسط الزوابع والانواء والضباب حيث يموت الانسان من الجوع والعطش . ينبغي ان يكونوا ذوي نفوس مقلّفة بالنحاس السميك ليتاح لهم الطواف شهوراً إثر شهور ، رجالاً ونساء واولاداً متراكمين بعضهم على بعض ، قبل ان ينتهي بهم السير الى جبهة العدوّ حيث تنتظرهم الحرب الكبرى ، التي لا مناص لهم منها

لقد قام اليابانيون بكل ذلك وربحوا الحرب . وهاهم البحريون منهم وها هم الجنود... وقصارى القول هاهم الرجال ! . هكذا كان اليابانيون في الماضي ، وهكذا هم اليوم ، فاليابانيون لم يتغيروا

﴿ هل اليابان شعب مقلّد منتحل؟ ﴾ ولم تكن تعوزهم البسالة ولا الذكاء . وتأدية البرهان على ذلك من السهولة بمكان ، فهؤلاء الرجال الحمر أو السمر الذين عبروا الفاً او اثنتي عشرة مائة مرحلة من الاوقيانوس وبلغوا الى قاعهم على مراكب صغيرة عرفوا أن يلزموا السرعة في تنظيم صفوفهم ، وفي التحوّل من شرذمة الى جيش ، وسنّ نظام اجتماعي ، واختيار قوّاد ورؤساء لهم ، والتزام الطاعة لهؤلاء القواد والرؤساء ، وايجاد يومية ، واختراع كتابة إذ أن قيادة الجيش تقتضي مواصلات وبعثات لا يصحّ ان تقتصر على طرق شفهية . ولا شك في ان إيجاد يومية في مستطاع أي كان واختراع احرف للكتابة في مقدور كثير من الناس ، على ان ذلك يقتضي وقتاً فالكلدانيون ظلّوا قروناً عديدة يتأملون دوران الكواكب ، ولقد اخترع المصريون أحرفاً كتابية ما لبثوا ان هجروها ويعلم الله وحده لماذا هجروا هذه الاحرف ، واخترع الفينيقيون بدورهم احرفاً حلقية ، وتصوّر الاغريق أحرفاً سوتية . وكان باستطاعة اليابانيين ان ينهجوا نهج الكلدانيين والمصريين والفينيقيين واليونان ، سوى أنهم كانوا بحاجة الى الاسراع ، فآثروا ان يدوروا دورة الشفق ويبحثوا في جميع الجهات رجاء ان يهتدوا في ناحية من النواحي الى شيء يوفر عليهم مشقة الاختراع . وما انعبروا بحراً أو بحرين حتى بدت لهم الصين ، الصين الواسعة المغمورة في عددها واعراسها ، الصين التي

عرفت الكتابة منذ خمسة وعشرين قرناً وتعداد الفصول منذ اربعة آلاف سنة ، فاعتنق اليابانيون اليومية الصينية والكتابة الصينية ايضاً وهذا ما نعلق في أذهان البعض ان اليابانيين ليسوا سوى شعب مقلّد ، نسخ ، منتحل ، ولكن ، يا للضلال الفظيع ، ضلال لا أجد صعوبة في هدمه وفي هدمه بسرعة

﴿ اللغة اليابانية ﴾ لنبدأ بمسألة اليومية : قد يكون اليابانيون نسخوا اليومية الصينية فهم لم يكن لديهم يومية في عهد من العهود ولا حرج على المرء ان يبني في ارض عذراء ، الاّ ان مسألة الكتابة تختلف عن هذه ، فاليابانيون وإن كانوا لا يحملون أحرفاً كتابية عند قدومهم من اوقيانوسيا الاّ انهم كانوا يحملون لغة ناطقة تطورت مع الزمن وبلغت حدّاً من الكمال . واللغة اليابانية الحالية المشتقة منها وغراماطيقتها الذي يستلزم بعض الجهود ممن يدرسونهُ اكبر دليل على ما ذكرنا

ثم ان الكتابة الصينية لا تتضمن حروفاً ولا اصوات لها فهي تخاطب الاعين لا الآذان ، وترمي الى هدف واحد وهو تصوير الفكرة تصويراً مباشراً . وهي الى ذلك تتضمن نحواً من ثمانين الف رسم صغير تحلّ محلّ الاحرف فتأملوا اية صعوبة في التعبير بهذه الرسوم الهيروغليفية عن لغة توازي اللغات الاوربية . وكان اليابانيين شعروا بهذا الجهد العظيم فاحتفظوا بلغتهم الاوقيانوسية القديمة ولم يستعيروا من اللغة الصينية الاّ طريقة كتابتها

﴿ كيف نشأت الفروسية في اليابان ﴾ ولنتطرق الآن الى التاريخ وهو موضوع اقلّ جفافاً من هذا الاخير . فالتاريخ الياباني ربما كان شبيهاً بالتاريخ الصيني ، فالمراكب الخشبية التي اقلّت اليابانيين الى اليابان لم تكن مراكب كبيرة ، فالواحد منها لم يكن يسع اكثر من عشر عيال او من ثلاثين او اربعين محارباً مع أمتعتهم . وهذا التنظيم الاولي كثير الشبه بالتنظيم الصيني . إلاّ ان اليابانيين لما وصلوا الى اليابان ادركوا انهم لن يتمكنوا من التغلب على الاينوس إلاّ اذا جمعوا عشائرهم قبائل رحبة وكوّنوا من هذه القبائل مملكة واحدة فقاموا بهذا العمل وكوّنوا مملكتهم ، ولم يكن لهذه المملكة إلاّ رأس واحد ، فاليابان — منذ عهدها الاول الى يومنا هذا — لم تعرف إلاّ سلالة واحدة حكمت عليها حكماً مستمدّاً من الحق الالهي هي سلالة الميكادو الابناء الشرعيين للالهة « اماتيراس نو أوهومي كامي » الذين يتخذون زهرة الاقحوان شعاراً لهم

ولقد أصبحت المملكة اليابانية مملكة إقطاعية منذ مدرجها . أما الاقطاعية هذه فقد افتتحت عهدها بالولاية الالهية لجميع الاقطاعيات ، فكان هناك زعيم كهنة وأمير سامٍ وحبر أعظم ولا مشاحة في أن القوة التي تأتي من الحق الالهي لا تقبل جدلاً ، فقد كان الميكادو في الاول امراء مطلقين تأتمر بأمرهم طائفة من الكهنة وأخرى من رجال الحرب . على أن المقاطعين من زمنيين وروحيين ما لبثوا أن اصبحوا امراء شديدي الشوكة كثيراً ما استولوا على السلطة العليا ، على الامبراطور ، فنبذ الشعب وتنومي كما جرى في فرنسا وانكلترا وايطاليا وألمانيا . ولئن كان الحكم الاقطاعي ملائماً للشعب الاولين لأنهُ يعجل تطورهم ويحضرهم بسرعة فهو شديد الوطأة على

كواهل المتحضرين المتطورين . فما شعر اليابانيون بأثرة الامراء استيقظت في نفوسهم نخوة الشرف وهذه النخوة التي ولدت من الفروسية التي ولدت من الاقطاعية تفسها استمرت خمسة قرون أو ستة بعد ان تلاشى اي اثر لاية اقطاعية

﴿ الشرف الياباني ﴾ قلت ان الفروسية نشأت في اليابان على أثر المظالم التي الحقها الامراء بالشعب واطرح عليكم الآن هذا السؤال : من منكم يتراجع أمام أية معركة إن كان الامر متعلقاً بغسل شرف مهان ؟ لا احد . ولكن عندما تقع المعركة في سبيل الشرف ينتهي كل شيء ويحتم على المغلوب ان يلقي سلاحه . اما في اليابان فالفروسية لا تجيز للمغلوب إلقاء سلاحه. فكل من تلحق به اهانة ما يجب عليه ان يقتل المهين أو يقتل نفسه

ولا يخيل اليكم اني اجسم الحقيقة ولا ابنيها الا على مستندات قديمة . فسأورد لكم قصة رجل عاش في قرننا العشرين هذا ، قصة رجل يعرفه العالم بأسره ويحترم اسمه وذكراه . وهذا الرجل هو القائد «نوجي» الذي ربح معركة «بورت آرثر» وخلق «الربع الساعة الاخير» الربع الساعة الياباني للجنرال نوجي ... وما هي حكاية الربع الساعة هذا ؟ اسمعوا نص الفقرة التي خلق بها القائد نوجي ربع ساعته : «سيكون النصر ، في أية معركة كانت ، حليف الجندي الذي يتيح له البأس ان يتجلد مدة ربع ساعة اكثر من خصمه » وفي هذه الفقرة اسئولة بليغة في البأس والانتصار !

عندما بلغ الجنرال نوجي الى آخر ايامه بعد ان شبع من الانتصارات ونال قسطه الوافر من احترام الشعب ، اتصل به في صباح يوم ان الامبراطور موتسوهيتو قد مات . والامبراطور موتسوهيتو الذي حكم من العام ١٨٦٧ الى العام ١٩١٢ والذي احدث الانقلاب الكبير في العام ١٨٦٨ كان أعظم امراء السلالة الآلهية المتحدرة من أماتيراس ، ربة الشمس . فما اتصل بالقائد نوجي هذا النبأ أسرع بقتل نفسه وأسرعت زوجته بقتل نفسها أيضاً . وذكرت الصحف الرسمية وقتئذ ان القائد نوجي شاء ان يظهر تعلقه بالميكادو فتبعه الى الموت . القصة جميلة ، أليس كذلك ؟ على انها تنافي الحقيقة ؛ فالحقيقة هي خلاف ذلك ، وقد لا يستطيع ادراكها الا من كان يابانياً

اسمعوا : كان نوجي الى خمسين سنة خلت تلميذاً بسيطاً في إحدى المدارس الحربية وكان قد اتحد بعرى صداقة متينة مع امير من امراء الدم الامبراطوري هو الامبراطور العتيد موتسوهيتو . وكان ان احد الاساتذة الضباط أهان نوجي التلميذ فصح عزمه على الانتحار إذ لم يكن بوسعه قتل من أهانه . فالنظام يحظر ذلك وقانون الفروسية يوجب احترام النظام ؛ على انه قبيل ان يبقر بطنه بالخنجر سأل صديقه الامير الامبراطوري ان يحضر بنفسه حفلة الانتحار ، فقبل الامير سؤال صديقه . الا ان موتسوهيتو كان أميراً عظيماً جداً وكان فوق جميع العادات والتقاليد وان تكن مقدسة فقال لنوجي

— لن تقتل نفسك لان الملك بحاجة الى رجال مثلك . اقد أهنت فكان عليك ان تموت ، على ان الاهانة التي لحقت بك قد غسلت لاني أنا ابن الآلهة ، ابن اماتيراس نو أوهوجي كامي أجل اهانتك

على رأسي وآمرك بأن تعيش ! . فانحنى نوجي مذعناً وعاش وأصبح فيما بعد ضابطاً فقائداً فعظيماً ، ربح مواقع عديدة واكتسب احترام الشعب . ولكن في اليوم الذي مات فيه الامبراطور موتسوهيتو واحتجبت الجلالة الامبراطورية التي كانت تحمل على رأسها الاهانة القديمة عادت هذه الاهانة بعد مرور ٤٠ سنة عليها فسقطت على رأس الجنرال نوجي فأسرع بقتل نفسه ليبقي شرفه سليماً ! ان شرفاً كهذا لن يموت !

﴿ الشعر والفن في اليابان ﴾ ولقد عرف هؤلاء الرجال القساة القدماء الذين اعتنقوا الاحرف الصينية ان يخلقوا لنفسهم شاعرية نبيلة بين أنبل الشاعريات جميعاً وان يطبعوا هذه الشاعرية بطابعهم الخاص ، ولقد برهنت هذه الشاعرية اليابانية للعالم بأسره أنها موجودة وانها الابنة الشرعية للجمال الياباني . وفيمَ تكلم عن الشعر ولا تكلم عن الفن ؟ فاليابانيين فنٌ دقيق أوحي بعضه من الفن الصينيّ وبعضه من الفن الاغريقي إذ ان اغريقية فيدياس وأخيل قد اجتازت آسيا عقيب الملك اسكندر وعقيب الفلاسفة البوذيين ايضاً ، على ان هذا الفن بقي خاصاً لان اليابانيين سكبوا فيه روحهم ، وهذه الروح لم تكن بالروح الاغريقية ولا الهندية ولا الصينية . وان هياكل نيكو التي بنيت في عهد هنريكوس الرابع او عهد لويس الثالث لاكبر شاهد على ذلك

﴿ الاديان في اليابان ﴾ ولكني لم أتكلم بعد عن مختلف الديانات التي مارستها اليابان في منتصف القرن السادس عشر للمسيح

كان ثمة ديانة «الشينتو» وهي الديانة الوطنية القديمة التي تؤكد ان الامبراطور هو ابن الآلهة ، والديانة البوذية التي جيء بها من الهند في القرن السادس للمسيح . اما الشينتو ، وهي مزيج من تقاليد قديمة وتوقيرات ابوية ووفاء عائلي ومعتقدات باطلة ولكن شريفة ، فقد كانت ديانة وطنية أكثر منها ديانة إيمان . ولم تكن البوذية التي كانت تعدُّ تسع عشرة طائفة في اليابان معظمها ينكر وجود الله وخلود النفس ، سوى فلسفة ونظرية . على ان اليابانيين كانوا شينتويين لحجة انهم يابانيون وكانوا بوذيين ايضاً بحكم الضرورة لان مراسيم المآتم كانت في حوزة الكهنة البوذيين

وكان ثمة ديانة ثالثة لو اتيحت لها الظروف لسهل عليها التأصل في اليابان وهذه الديانة هي النصرانية . ولا يغرب عنا ان اليابان في القرن السادس عشر للمسيح كانت بحاجة الى تعاليم عذبة تطفح بالحلم والرأفة ، الى تعاليم المسيح ، فالياباني الذي يكد سحابة يومه ويشقى يحتاج الى الراحة وليس لهذه الراحة أعذب وأهنأ من المحبة المسيحية . على ان اليابان لم تحصل على هذه الديانة على شدة حاجتها اليها . ولماذا ؟ لانها كانت بعيدة عن روما ، بعيدة جداً عنها ، فالرسالة كانت تستغرق سبع سنوات ، او ثماني لتصل الى روما ويأتي جوابها . ولا مشاحة في ان فرانسوى كزافييه الجزويتي الذي ارسل الى اليابان ليبشر بالدين المسيحي قام في اليابان بأعمال عجيبة ، سوى انهُ لم يكد يموت حتى ضاعت جميع الجهود التي بذلها ، فخلفاؤه كانوا اقل نبوغاً منهُ وكان عليهم ان يقاوموا الشينتو والبوذية فلم يقاوموا لانهم كانوا يجهلون ان الشينتو ليست سوى وطنية وان البوذية ليست سوى فلسفة

وعلى اثر رفقة فرانسوي كزافييه هب اليابانيون لمحاربة الدين المسيحي ، وفي العام ١٧٣٧ صدر مرسوم ياباني يقضي بمنع اي اجنبي كان من النزول على الشواطىء اليابانية . وهكذا اغلقت اليابان ابوابها وتوادها واعتزلت في الكرة الارضية

﴿ اليابان تتطور ﴾ ولكن ما لبثت الثورة ان انطلقت في اليابان ، ففي العام ١٨٦٨ شعر اليابانيون انهم بحاجة الى القوة وأنهم — وقد اوصدوا حدودهم منذ اكثر من مائتي سنة — يجهلون الطريق الصناعي والميكانيكي الذي مهّدته اوربا والذي اوصلها الى البخار والكهربائية والاشتراكية . ولم يجهل اليابانيون اي خطر سيواجهونه في تركهم طرق الاجداد وسلوكهم الطرق التي يسلكها الجنس الابيض ، على انهم لم يجهلوا كذلك انهم لن يستطيعوا المحافظة على حريتهم الا اذا كانوا اقوياء ، واليابانيون يعشقون الحرية ، فكان عليهم ان يقفزوا دفعة واحدة على شرائع الجدود وعلى التقاليد المقدسة فقفزوا عليها جميعاً بدون تردد واعتنقوا السلاح الاوربي والعادات الاوربية . وكان ان حالفهم النصر ، ولا يزال حليفهم منذ العام ١٨٦٨ الى يومنا هذا

﴿ اليابان في عشرين سنة ﴾ واننا لا نجد فائدة في أن نعرض للحرب الصينية اليابانية التي نشبت في العام ١٨٩٤ وللانتصار البحري العظيم الذي ناله اليابانيون في معركة يالو (Yalou) كما اننا لا نجد ايضاً فائدة في ذكر ملحمة العام ١٩٠٤ عند ما خيّل الى روسيا العظيمة انها تستطيع ان تسحق هؤلاء اليابانيين القصار القامة الذين سخروا لانفسهم بالاعتداء على قوريا ومنشوريا وهما ارضٌ محظورٌ القنص فيها إلاّ على القياصرة ، فكان ان انهارت روسيا في لياويانغ وبورت ارثر ومكدن وسوشيما كما انهارت الصين من قبلها . ولكن قد نجد فائدة في ان نأتي على ذكر حادث خطير وقع في العام ١٨٩٤ ، ففي هذه السنة عندما احتلت الجيوش اليابانية مرفأ «وياوي» Wei—a—Wei الصينيّ اصابت المانيا واذنت لنفسها بأن توجه الى اليابان هذا الانذار الشديد

« تفضلي بالجلاء عن وياوي في مدة اربع وعشرين ساعة او اضطرّ الى التدخل في شؤونك »

كانت المانيا في العام ١٨٩٤ امة عظيمة هائلة ، وكانت اليابان في ذلك العهد لا تزال تختبر اجنحتها ومنقارها ، فتفكرت قليلاً ثم ابتسمت واذعنت ، وعملت بموجب الانذار الالماني

ولكن بعد مرور عشرين سنة ، في العام ١٩١٤ ، عند ما هبت المانيا تشهر الحرب على العالم بأسره هبّت امة للوقوف في وجهها ، وهذه الامة هي اليابان ، ففي الوقت الذي أتاح لالمانيا أن تستولي على مرفإ تسنغ تاو القريب من مرفإ وياوي وجدت اليابان الإشعار الالماني القديم فمحت منهُ اسم « وياوي » وكتبت محله اسم « تسنغ تاو » ومن غير ان تبدل حتى ولو حرفاً واحداً طوت الإشعار القديم وبعثت بهِ الى المانيا

« تفضلي بالجلاء عن « تسنغ تاو » في مدة اربع وعشرين ساعة او اضطرّ الى التدخل في شؤونك »

وهكذا اتيح لليابان ان تثأر لنفسها

مشكلة النمسا

ان الذين يؤمنون بالسعد والنحس قد يجدون في النمسا ما يؤيد مذهبهم فما برحت تلك البلاد منبع مشكلات ومصدر متاعب . وليس بين قرّاء التاريخ من يجهل مصائب آل هبسبرج الذين تولوا حكمها وحكم هنغاريا كما انه ليس منهم من يجهل ان نزاعها الخفي مع سربيا وهو النزاع الذي افضى الى اغتيال ولي عهدها وقرينته اضرم الشرارة الاولى لنار الحرب وهذا علاوة على ما كان بين عناصرها من صراع يدلّ على ما انقسمت اليه بعد الحرب وعودة الجزء البولوني الى بولونيا ونشوء دولة تشكوسلوفاكيا وانفصال هنغاريا وضم العنصر الايطالي الى ايطاليا وما اخذته رومانيا . ثم ما منيت به البقية الباقية من النمسا من ازمات سياسية ومالية لولا توسط جامعة الامم لقضت على كيانها

ثم كانت المشكلة التي تلت هذه بالسعي لضم النمسا الى الريخ او الاتحاد الالماني ومعارضة فرنسا لهذا الضم واقدامها على اضعاف النمسا لتظل قادرة على صون استقلالها فلا تعظم المانيا ولا تقوى باضافة ثمانية ملايين من خير اهل اوربا اليها علاوة على ان النمسا من اجمل بلدان العالم وعاصمتها في مقدمة العواصم حسناً ونظاماً ان لم تكن أحسنها وأبهاها

ولم تكد النمسا تجتاز هذه المرحلة حتى اخذت الاقدار تهيء لها مشكلات جديدة باقسام اهلها وتعرّض النازية الالمانية لها وهياج خواطر الاشتراكيين فيها وقد كان لهم الكلمة العليا في فينا وسواها وظهور روح الفاشستية وما تلاها كلّه من صراع داخلي تجلى اخيراً في الفتنة التي نقلت الينا التلغرافات اخبارها وعواقبها وقد انتهت بخضد شوكة الاشتراكية وكبح جماح انصارها وفوز الوزير دلفوس

ولكن الازمة لم تنته بهذا فقد وقفت الدول تجاه هذا الحادث وقفة حائر ففرنسا تعارض انتشار الروح النازي في النمسا حذراً مما قد يفضي اليه من ضمها الى المانيا . وايطاليا ترى في حوادث النمسا وقوة الهيمفر مجالاً حسناً لانتشار المذهب الفاشستي فهي تعارض المانيا كذلك. أما بريطانيا فتجاري الدولتين ولكنها تخطىء حكومة النمسا كما تخطّئ سواها فان اضعاف الاشتراكية يفضي حتماً الى مضاعفة جهود النازي وقد يوقع حكومة دلفوس في حرج لانحسار الصراع بين حزبين وهما النازي والفاشستي

ولا يخفى ان فوز الحكومة النمسوية وقهرها للاشتراكيين لا يكفل لها السلامة والبقاء بالضرورة اذ لا يدري احد كيف يكون التحوّل الفكري والسياسي في البلاد بعد الازمة الاخيرة فقد تعلو كلمة النازي ويكون لهم الفوز الاخير وحينئذٍ يتفاقم الخطب لما قد يجر هذا اليه من نزاع فرنسا والمانيا

ولهذا عاد غير واحد الى اقتراح اعادة آل هبسبرج الى حكم النمسا ليكون من اعادتهم حائل يحول دون ضمها الى المانيا حرصاً على استقلالها القومي برعاية اسرتها المالكة السابقة

وهناك عامل آخر لا يسع الباحث اغفاله وهو ان الاحزاب الاشتراكية في سائر بلدان اوربا نقمت من الدكتور دلفوس انتقامه من اشتراكي بلاده والاشتراكية في اوربا قوة لا يسع النمسا ازدراءها